

عروسة النيل

الفصل الثامن

نزل حيرام الى دار المنزل فوجد كبار الخدم جالسين يصطلون ويتسامرون ويتبهم رستم الجوي وبعض اتباع هاشم وكان كاتب اوريون يتحدثهم بما اتفق لسيده من الوقائع حين كان في القسطنطينية وما صادفه من الخطوة في عيون جلة القوم فيها والباقيون يصغون الى حديثه ويتوقفون الى استماع المزيد

ولما خالت باولين ان الجو خلا لها انسكت في الدار واومأت الى حيرام فتبعها وسارا الى غرفتها فعمدت الى صندوق فتفتحه واخرجت عقدا من الجوهر في وسطه زمردة كالجزرة حجما وكالشمس لمعانا فامرت حيرام ان يقتلها من مكانها فعالجها بديته حتى نزعا واخذ يقلبها في يديه وباولين تبعه على سمعه ما امرته به ثم اشارت اليه بالانصراف واقتلت الباب واخذت تستعد للرفاد ولم يكن الا كلا حول ولا حتى سمعت فرعا خفيفا فهبت مذعورة وقالت من بالباب - حيرام

فاسرعت وفتحت الباب وسأله عن سبب عودته فاخبرها ان الباب الصغير الذي جاء به والذي يؤدى الى الدار موصد وأنه لا يستطيع الخروج اذ هو لا يعرف مخارج البيت ومداخله فخارت باولين في امرها ثم التفت قناعا على راسها وقالت

- اتبعني على مهل فاذا وجدنا المطبخ فارتقا استارقنا منه الى القاعة وقد نستطيع الخروج من الباب الكبير لان بعض الخدم يبيتون في المنزل ولعلهم لا يزالون في الدار فاذا بلغنا صرت على هدنى واحذر الكلب الذي امام دار التحف فهو عقور ومتى اومأت اليك يدي فقف مكانك . فشيا حذرين الى المطبخ فالقاعة حتى بلغا دار التحف فوجد بابها مفتوحا فتواريا ووقفت باولين تسترق السمع وقلبا يخفق وجلا وذهولا فابصرت رجلا خارجا من دار التحف فتحقتنه واذا به اوريون يتبعه كلبه الذي اشارت اليه ففهم هذا عليهما فدفدت يدها اليه ودعته باسمه بصوت خافت فكف عن النباح واقبل اليها واطرق راسه ولم ير اوريون الاثنين فاقفل الباب ومضى لسبيله وظلت باولين كأنها تفكر في وسيلة للخلاص وسادت السكينة على البيت وكاد القمر يغيب ثم سمعت جلبة وهدير كلب عقبه استغاثه امرأة في اشد الآلام فذعرت لهذا الصوت ثم رأت اوريون يجري والكلاب وراءه وما يعدوان حتى وصلا الى حديقة امام

المنزل فغابا فيها عن عينها فالتفت الى حيرام وقالت له لقد حانت الفرصة فاتبني واندفعت
تجري امامه ولكنها لم تسرع خطوات حتى عثرت رجلها بشيء فارتعدت فرائصها وتاملته
فاذا امرأة منطرحه على الارض لاجراك بها فسمت بالقرار لكن رقة قلبها نفلت على جنبها
فوقفت وامرت حيرام بالخروج واورأت الى الباب الكبير ثم جثت على ركبتها امام الجثة وحققت
النظر فيها فالتفتا مائدا في الفارسية وقد تحضبت ثيابها بدنها فزقت قيصها واذا في صدرها
جراح دامية غارت على لحو ما رأت وعجبت لاوربون كيف يقدم على مثل هذه الفعلة الشنعاء
وقد كانت بالامس تنعته بخير العورت ونحبه مثالا للشهامة والمرورة ثم هو اليوم يرتكب جرما
كهذا ولا يلبث ان يترك المسكينة وشأنها وقد بانت فريسته مرتين. فاخذت تنبصر في وسيلة
لاتقاذها اذ آنت فيها رمقا من الحياة ولم يشأ حيرام ان يتخلى عن سيدته في ذلك الموقف
الحرج فخلع حذاءه وحمل المبروحة واسندها الى عمود في القاعة ووقف ينتظر امر سيدته في
شأنها لكن باولين الحت عليه بالذهاب خشية ان يراه احد من اهل القصر فصدع بامرها
واسرع الى الدار وحينئذ صاحت باولين باعلى صوتها تدعو الخدم الى مساعدتها فرددت جوانب
القصر صوتها وهرع الكتائب والحشم وفي طليعتهم اوربون وقد تدثر بدثار الليل كأنه نهض
من الرقاد فجاء فلما وصل اليها سالها عما جرى فلم تجبه فاعادت امه السؤال فحارت باولين
في ما تقول لكنها شددت عزمها وقالت

— منبت الليلة بالارقي وبيننا كنت انقلب على فراشي سمعت نباح كلب وصراخ مستغيث

فاسرعت الى هذا المكان ورايت ما نرون . فقالت تنورس

— لا مشاحة في انك غريبة الاطوار فهل سمع في الدهر ان التيات يتركن غرف النوم

ويخرجن الى مواقع القتال . وقال اوربون ولو كان معك شيء من السلاح يا ابنة الابطال

فقاطعت باولين وقالت

— لقد خليت السلاح الابطال والقتلة ثم حاولت اليه نظرة احد من السهم فتدم على

خطايه وحاول صرف الحديث فقال على انك تحفظة في زعمك فليست هذه الجراح في صدر

النساء وكشفها طعنات سلاح ولكنها اثر براثن الكلب ولا ادري ما الذي جاء بمائدا في الى

دار الخيف حتى جرى ما جرى فقالت امه

— ولكن حذاه من هذا الذي اراه هنا . فعلت جبين اوربون صفرة الوجمل وحسب الف

حساب واخذ يضرب اخماسا لاسداس فانه لم يدخل الى دار الخيف حتى يقن ان الباب

المؤدي الى القاعة موصد وان المكان خالي من الانس فقلق وخشي ان يكون قد رآه احد

لكنه عزم على البحث فالتقط الحذاء وسأل الخدم عن صاحبه فلم يعرفوه فقال
 — لكن هذا الحذاء مصنوع عندنا وعليه ممة معملا نخذه يا سيك وتحققى صاحبه وغدا
 نرى ما يكون من امره ثم التفت الى باولين وقال
 — لقد كنت اول الواصلين الى هذا المكان بحسب قولك فهل ابصرت فيه رجلا
 فاجابته والفيظ بكاد يخفقها

— نعم

— وكيف مار

— رأيتُه يعدو كالجبان في عرض القاعة ثم خرج الى الحديقة التي امامها حتى غاب في
 غرف النوم

فخرق اوريون اسنانه وغلت البغضاه في صدره وخشي ان تكون باولين واقفة على دخيلة
 امره في تلك الليلة فتفضعه وتغشي سره وتمنى لو تخسف الارض بها فلا تبرح بما في صدرها.
 فقالت امه لعل القاعل اراد اباك يا اوريون قصد الفتك به فاسرع باسيك الى غرفة مولاك
 وقم على حراستك بما نعهدك فيك من الامانة وانت يا ابني تحققى اللص من آثاره ولا تخله يفلت
 من يدك. فالتفت باولين الى البستاني وطلبت اليه ان يقيس الحذاء على الآثار التي في
 الحديقة فاعترضها اوريون قائلاً هذا شغلي انظر فيه بنفسي قال هذا وحمل الحذاء وخرج الى
 الحديقة فاستاءت باولين لتداخله وخشيت ان يضيف الى ذنوبه في تلك الليلة الكذب كأن
 يقول ان الآثار تطابق الحذاء حجماً وشكلاً فلما عاد قال لا استطيع الجزم في الامر فالحذاء
 اكبر من آثار الاقدام هناك

وكانوا قد ارسلوا من يأتي بالطبيب فلما جاء انفردت نفورس بابنها وسألته عن سبب
 صفترو واضطرابه وهي تحسبه مريضاً فقال لها لقد احزنني منظر هذه الفارسية
 وفيها هم كذلك اقبل بعض الاتباع يحملون رستمًا شيخ قافلة هاشم التاجر العربي فوضعوه في
 القاعة لا حراك به وذلك انه كان مع اتباع المقوقس كما تقدم فلما دار الحديث على المذاهب
 واختلافها ابدى ازدراره واستخفافاً بمذهب اليعاقبة فتناول احدهم مراوغة وضربه على رأسه فالتقاء
 جريحاً فكشف الطبيب عن الجرح ثم وقف وهو يتميز غيظاً وقال هذه ضربة مصري بحت فانها
 في مؤخر الرأس فتفرقوا عني ايها الاتباع وليبق هنا اصحاب الشأن فقط وهاتوا لي بحملين وانت
 ايها السيدة نفورس مرهم ان يعدوا غرفتين للجريجين فان هذا الفارسي في خطر
 — سأمهم باعداد الغرفتين المجاورتين للقاعة

— كلاً فاني اريد غرفتين تشرفان على النيل فالجريحان في حاجة الى الهواء الطيب التي لم يبقَ اذاً سوى غرف الضيوف حيث تقيم باولين ولو كانت الجريحان من اهل البيت لاذنت لهما في البقاء فيها ورباش هذه الغرف نظيف ثمين وقد اعددناها لكبار الضيوف فقال الطيب — لا اكبر الآن من هذين الجريحين فانها اقرب الى الله منا جميعاً فليحملها الخدم الى غرف الضيوف

الفصل التاسع

ما كان اوريون ليخشى باولين لولا جريمة ارتكبتها تلك الليلة فانت فذى في عينه وشجى في حلقه حتى اذا ما رآها تعني بالفارسية ومعها تهمة محاولة قتلها علم انها كانت في القاعة ساعة كان في دار التحف وظن انها رآته متلبساً بجرمه فنيبتكيت الضمير وبعيره النوم وطاب الانفراد وتجلت له فعلته باسراج الالوان وافصح الصور فلم انه في قبضتها وعجب لنفسه كيف اقدم على عمله هذا تخاطر بشرفه وهو عميد القوم وابن واليهيم . وتحرير الظاهر ان اوريون قضى سهرته في بيت كاترينا حيث لقي عمها فحدثه يحدث القطيف الذي ابتلاه ابوه هدية للكنيسة ووصف له جماله وما فيه من الجواهر النادرة المثال حتى اتى الى الزمردة فاطنب في صفاء مائها وكبر حجمها وغلاء قيمتها فلما فرغ من الكلام قال الآخر

— او بابي عليك ابوك ان تأخذ شيئاً من جواهر هذا القطيف وانت ولده وفلذة كبده او نسي ان الكنيسة في غنى عن هذه الجواهر وخزائنها لتدفع بالثروة فقد حق لك ان تأخذ نصيبك منها فهدية الى عروسك فالنساء يطمعن في الخلى ويرين فيها من اللذة ما لا تشعر به نحن . ولما جلسوا الى الطعام استرسل الرجل في حديثه هذا فزاد اوريون شوقاً الى احراز الزمردة التي في القطيف قصد ارسالها الى نسيبة يوستينوس في القسطنطينية قياماً بوعده لها ومقابل هدايا اهدتها اليه كاتيل التي جاء بها فلما عاد الى البيت سار ترواً الى دار التحف ففتحها وعمد الى القطيف فنزع منه الزمردة وقلبه يهتق وجلاً لان ذلك كان اول عهده بالسرقه

فلما حدث ما حدث مما ذكرناه آتفاً تبدلت ظنونه وازداد قلقه فقصى بقية ليله يتقلب على احتر من الجمر ورأى في باولين عدواً له لا بد من مناجزته او التسليم اليه . وادرك انها ليست ممن تنطلي عليهم الحيل وظن انها تنوي الايقاع به ونشهره بعد ان اتهمته بمحاولة قتل الفارسية وظل على تلك الحال نحو ساعتين ثم هب من اضطرابه وقال اذا شاءت اغتصام فانا كفوها . نعم ان نسيبة يوستينوس جميلة ببهة كلاك وقد اقترفت جرماً كبيراً لاجلها وارتكبت وزراً لا يغفر ولكن ما الحيلة الآن وقد كاد الامر ينكسف فلا بد من الثبات . ثم امر قهرمان

يتمهم وقائد الحرس ان يقتنيا آثار صاحب الخداء حتى بقفا عليه وعهد الى اسودود تخطأ
اياتاً من الشعر لتناء القسطنطينية ثم لف الزمردة وشدها الى الرسالة وارسل فاستدعى السائس
الذي اتى بخيليه من عاصمة الروم الى منف فامرهُ بالاستعداد للسفر ودفع اليه الهدية واوصاه
ان يسير توّاً الى الاسكندرية ويركب اول سفينة وجهتها القسطنطينية ثم رافقة الى خارج
المدينة وهو يعيد عليه اوامره بسرعة المسير وكتمان الامر. وبعد ان صار بضعة اميال عاد الى
البيت وقد اطمان فؤاده وخف جزعه اذ اقصى عنه الشاهد على سرقة لكنه ولو تنقص
حياته سنة وانه لم يرتكب هذه السرقة على انه لم يكذب يستقر في مخدعه حتى عاودته مخاوفه
وتضاعف قلقه فاخذ يفكر في باولين وما ابدته من مظاهر العداء له وحار في تحليل الاسباب
التي دفعتها الى عملها هذا واتهامها اياه بالقتل في حين انه لم يقترب ذنباً يمسها وعجز عن الوقوف
على علّة تفورها منه بعد ان باحت عينها بحبها له ليلة كانا يروحان النفس في السفينة مع ابوييه
فقال في نفسه لعل الباعث الى ذلك غيرتها من كاترينا ولما خطر بباله هذا الغطر شرع يقابل
بين الاثنين تلك في جمالها وشحمها وسمو عواطفها وشرف نسبها وهذه في قصر قامتها وخفتها
وثروتها تلك الثروة التي اشتبتها امه على ما كان لها ولا ييه من الاموال التي لا تقع تحت حصر
ولبت ساعة كذلك لتنازع الافكار حتى اعيأ فارقي على سريره وران الكرى على اجفائه
فراى رؤيا تمثلت فيها باولين على عرش من الماء الازرق منروش بالورود واصوات الفناء تتصاعد
حولها فتقدم اليها واذا بسر اسود كبير انقض عليه ولطم وجهه بمجناحيه حتى كاد يعميه ثم
تحول الى الورود فاخذ ينقرها كما تنقر الفراخ حبوب الحنطة فغاظه ذلك وعهد الى السرير يد
القبض عليه فلم يستطع المشي وكان قد مده مشدودتان الى الارض فحاول الركض وهو يضرب
بيديه ذات اليمين وذات الشمال وبينما هو كذلك استيقظ وجيئة بكاد يتفصد عرقاً فلما فتح
عينيه رأى امه واقفة بمجانيبه وقد علا وجهها الاصفرار فاخبرته ان اياه بانتظاره في المجلس
وانه في حاجته اليه فنهض من سريره واصلى شعره وهو يفكر في ما عسى ان يكون الغرض من
تلك الدعوة ولما فرغ خرج من غرفته يريد الذهب فاستوقفت شدة الحر في الدار والحديقة وقد
صر الجندب واشتد المجير وامتلأ الجو بوجه الشمس المنعكس عن سطح الارض وكان جميع
المخلوقات تستلث لتلج الحر حتى خيل له ان اللآلئ في النوفرة بطيخ الجريان فزاد ذلك سبه
كدوره وعهد وشعر كان ثقلاً التي على صدره وكان رجله مقيدتان وبيديه مكبلتان فصار
الهوينا حتى بلغ المجلس فابصر فيه ما راعه وزاد في اضطرابه اذ رأى امام سريره اييه القطيف
الفارسي مشوراً بعضه ومجانيبه امه وهاشم التاجر العربي خيماً والده والحاضرين ثم نظر اليهم وقال

ما بالكم صامتين كأنَّ على رؤوسكم الطير . ان المصيبة شديدة الوطأة وقد احزنني ما ألمَّ
بذلك الفتاة العيسة واغضبني ما اصاب رستم شيخ القافلة فأيقن ايها التاجر ان القصاص سيخضع
بالجرمين يلقون جزاء ما جنته ايديهم وسيجولك ابي حق الانتصاص منهم كما تشاء ولا تخش
بأساً على رستم فان فيلس الطبيب يداويه ويشفيه باذن الله وما ذلك على مهارته بكثير وهو
ابنصر مصر وطبيبها النطاسي اما التمريض فانت أدري بأبي ولا أراني في حاجة الى الاسهاب .
تبيت النخوة العربية في صدر هاشم والتفت اليه مفضبا وقال

— مة ولا تجتمع بين شرين احبني والجراح التي اصابني صديقي الباسل تحت سقف
يتكم فلتس بالثأر حتى يمال ولو مال المقوقس ولن انحول عن طلب الثغمة وقصاص القنلة اللثام
فقد جاء في كتابنا ان القتل اني للقتل وان في القصاص حياة واراكم تجرون على هذه القاعدة
ولو ان كتبكم بقول غير هذا القول . ويسوفني ان امثال هذه الحوادث تحدث في بيت الرجل
الذي استعمله الخليفة على نصارى مصر فقد سمعتم تفاخرون برحابة صدركم وعدم انصبكم فإ
قولك في ما فعلتموه برجل تزل عليكم فقتلتموه ايام السلم وحبته نجا من الموت فسيبقى معنوها طول
عمرو واما امانتكم

اوريون — ومن يجرأ على الارتياح فيها

هاشم — انا يا فتى فقد بعثكم امس شيئا واره اليوم عطلا من اثمن جواهره وحيثنذر
التفت امه اليه وقالت لقد اقتلوا الزمردة النفيسة من القطيف في الليلة البارحة بعد ان
سرت بنفسك مع الخدم الذين حملوه الى دار التحف حيث اودعتموه . فقال اوريون
— نعم فقد كان الامر كذلك ونحن نقلناه في نفس الثوب الذي لفه به اتباع التاجر ورافقنا
سبك قهرمان بيتنا فمن الذي جاء بالقطيف اليوم منه

هاشم — لحسن الحظ ان جاءت به امك وسبك وحمله عيذك

اوريون — وعلام لم يتركوه وشأنه

هاشم — ذلك لاني قلت لا يترك ان جماله لا يبدو على اتمه الا في النهار في نور الشمس .
وقالت امه وزد على ذلك فان اباك رام ان يعيد النظر في ما ابتاعه واراد ان يسأل التاجر
عن خير الوسائل لاقتلاع حجارته الكريمة منه دون ان يمس بسوء فذهبت وسبك بالبيد الى
دار التحف واتينا به

اوريون — وكيف دخلنا الدار ومفتاحها معي

امه — وجدنا الباب مفتوحا

اوريون — ولكنني افقته بحضور سبك
 سبك — نعم وقد سمعت باذني رنة القفل . فقالت امه بي اذا انهم فتحوا الابواب النحاسية
 بفتح آخر فانتا حالما دخلنا القينا القطيف منشورا تأملناه فاذا الزمردة منزوعة من مكانها .
 فاصفر اوريون وصاح يا للعار وقال المقوقس
 — اقسم بالسيد المسيح اني لا اغفل ولا استريح ولا اتفك اتقب عن الجاني حتى التي
 القبض عليه . فقال هاشم

— وانا اشاركك في البحث ولو دعت الحال الى رفع الامر الى عمرو بن العاص فقد
 بدرت كلمة الآن لن انساها وقد ادركت يا فتى مغزى كلامك وما يدور في خلدك فقد
 حدثتك نفسك ان هاشما خب مكاف باع اباك في ما باعه زمردة كاذبة فلما خيم الظلام
 ارسل من يسرقها تحت جنح الليل قبل ان يطلع النهار وتكشف الحيلة فاعلموا يا قوم اني رجل
 امين واموالي بفضل الله كثيرة فاذا تيجرا احد ان يثلم شرقي وصيتي فليعلم ان لهذا الشيخ الفاني
 من الاخوان الذين يأخذون بناصرو ويشدون ازره من لا قبل لكم بمناجزته . ولما انتهى الى
 هذا الموقف اغرورقت عيناه بدموع الغم والكدر فقاطعه اوريون وقال

— ومن الذي تيجرا فاتهمك بمثل ما نقول . فقال

— امك ولو لم تقل ذلك صريحا . فقال المقوقس

— عفوا ايها التاجر ولا يثر ثائر غيظك فقلوب النساء ارق من قلوب الرجال لكنهن
 اقرب منهم الى سوء الظن لا سيما بالخارجين عن عقيدتهم فقد قيل ان شعر المرأة طويل
 وعقلها قصير . فاجابت نفوس

— قولوا في النساء ما شئتم اذا كان ذلك يبرء غليلكم على اني اعترف بخطائي واستبحتك

العفو ايها التاجر

— علي الرحب والسعة فقد قضيت ما مضى من العمر ولا غبار على اسمي وصيتي فلا غرو
 اذا لم اطلق ذلك الآن على اني سائف وقتي على البحث عن هذا الامر فلا احيد يمينه ولا يسره
 حتى يبدي الصريح عن الرغبة فقولوا لي ا كان الكلب القائم على حراسة دار التجف عقورا .
 فاجاب اوريون

— بكفيك من ذلك ما فعله بالجارية الفارسية . وقالت امه

— لقد كنت اول الواصلين الى مكان الواقعة ولو كان السارق اجيبا لما تركه الكلب
 وشأنه فهو اذا من البيت او من الخدم ولا يحمل ان يكون باولين التي سبقت الجميع الى اغاثه

مانداني فانها فقاطعيا زوجها وقال بنهرًا

— تجاوزي عن اسم باولين في هذا الحديث . فقال هاشم

— او نعنون الفتاة التي كانت معكم امس اذا اموالي حرام علي ان كانت هي السارق
ومن كان مثلها فابعد الاشياء عنه ارتكاب الخيانة . وقال اوربون ومن يصدق ذلك عن
باولين فصاحت امه

— عجباً للرجال تفننهم عين نجلاء وتسلب الباهم ولكنني لم انتهمها فاسمحوا ما اقول واعلموا
ان ذات الشعر الطويل قد تكون ذات عقل كبير ايضاً فقد وجدوا حذاء رجل في القاعة
فهل صدعت بامر مولاك يا سبك وهل اوعزت اليهم ان يتحققوا صاحب الحذاء

— نعم يا مولاتي واني انتظر الساعة قدوم قائد الحرس الذي كلفته قضاء الامر ولم يك
يفرغ من عبارته هذه حتى طلع عليهم القائد المذكور فاخبرهم بما فعله قال طرحنا الحذاء امام
كلاب الصيد حتى شمته ثم اطلقتها فجرى اثنان منها الى الباب المؤدي الى غرف النوم وتساقى
السلم الى غرفة السيدة باولين ثم عادت الكلاب باسرها الى الاصطبل فدارت في انحاء وهي
شبه هريرة شديداً وكأنها الشياطين تجري لتقبض نفوس الهالكين ولم تلبث ان هجعت على
الفتى ابن حيرام مربى الخيل الذي جاء من دمشق مع ابنة توما العظيم فالتقت على الارض ثم
اندفعت الى غرفة ابنة فقبلت الامتعة وبعتها حتى لم يبق عندنا ريب ان صاحب الحذاء
هو حيرام بعينه وقد اقتنت الكلاب اثره الى خفة الليل ووقفت هناك وبعد البحث تبين لنا
ان احد القوارب ناقص وعندني ان الرجل عبر النهر الى العدو الشرقية فاذا لم يجره العرب
شيئاً لنا القبض عليه قبل ان ينجو . فصاح اوربون

— لقد عرفنا السارق وانت ايها القائد نخذ بعض رجالك واعبر بهم النهر واتق القبض
عليه وسيعطيك ابني امراً قاضياً بذلك فيساعدك العرب على اسره فاذا ظفرت به اليوم فقد
يحدث ان تكون الزمردة في قبضته

وفياهم كذلك دخل الحاجب فاذبح المقوقس انت غملاييل الصيرفي اليهودي بالباب
يلتمس صدور الاذن في التبول بالحضرة ليطلعهم على امور ذات بال بشأن الزمردة . فامتنع لون
اوربون وحول وجهه عن التاجر وانزاح من مكانه فلما صار غملاييل في حضرة المقوقس سئل
عما يعرفه من امر الزمردة فقال

جاءني صباح اليوم الرجل حيرام من خدم هذا البيت ويبدو زمردة كبيرة كريمة فعرضها
عليّ للبيع واقسم لي انها انفصلت اليه من تركة القائد توما وان سيده اتخذها ايام سوء دودو

وعزم حليّة في رأس جواده فرضيت ان ابتاع الجوهرة وعرضت عليه ثمنًا مليحًا تقدمته منه
التي درهم معجولة كان في حاجة شديدة اليها وخلي الباقي وديعة عندي ولما انفصل عني تازعتني
الافكار ولم اعلم ان رأيت رجال الشرطة يحرقون بكلاهم في الشوارع وقد علت الجلبة
والضوضاء فسألت عن الخبر فقبل لي انهم يبحثون عن رجل مرق شيئًا من بيت الوالي فعملت
اني مخدوع واني عقدت صفقة خاسرة فاسرعت الى القصر واثقًا بعدل المقوس وهانذا اتنازل
عن هذا الحبر الكريم مقابل ما تقدمت حيرام ولا اطلب منكم فائدة لمالي ولا ابتغي اجرًا ولا
جمالًا مقابل حفظي هذه الوديعة الثمينة في يدي ساعتين او أكثر. فلم يرق مزاحه البارد
في عين هاشم فقال له 'هات الزمردة ومد يده' فانزعها منه وشرع يقلبها في يديه ويحدق فيها
النظر ثم اخرج من جيبه مطرقة صغيرة فدقها بها وهو يفحصها فخص خبير بانواع الحجارة الكريمة
حتى اكتفى. هذا واوريون كمن في النزح تارة يصفر وطورًا يحمر اذ خشي ان يكون رسوله
الى الاسكندرية قد باع الزمردة الى حيرام وهذا باعها الى اليهودي ولما اعياء الامر التفت
الى غملائيل وقال

اوانتي انت ان حيرام باعك الزمردة وهل تعرف الرجل معرفة تامة فان المسألة شديدة
الاهمية وعقابه او براءته من التهمة يتعلقان على كلامك

فقال اليهودي ليلبارك اسم الرب ارتاب يا مولاي في صدق قولي او بقي في منف اليوم
من يجمل حيرام ولا يعرف تخته فكم من مرة رأيتاه يعود بجيالك السراع كأنه ملاك الموت
فيدوس الشيوخ والاطفال . فقال اوريون

— اتذكر اية ساعة اتاك اليوم

— اتاني بعد صلاة الصبح بقليل ساعة يقع نور الشمس على الدكة امام بيتي

— وفي اية ساعات النهار يكون ذلك

— لساعتين بعد الشروق في هذه الايام

فسري عن اوريون وذلك لان رسوله الذي سار بالزمردة الى الاسكندرية انفصل عن
منف بعد شروق الشمس باربعة ساعات ولما كان شديد الثقة بصدق اليهودي اطمأن بالله
لكنه ما برح يظن الزمردة عين التي ارسلها وتتي ان لا يقبض الشرطة على حيرام الى ان قال
في نفسه وهب انهم فعلوا فشرني اثن من حياة مئة سانس فاذا اقتضى الامر ضحيت صيته فدية
عني وحقت دمه بمالي من النفوذ عند ابي ثم التفت الى هاشم فقال

— اتأذن لي في فحص الزمردة فقد اعياني امرها فهل تظن ان في الوجود زمردة اخرى تماثلها

فقال هاشم هذا امر يصعب الجزم به فان هذا الحجر اشبه بالذي كان في التطيف من الماء بالاء لولا نوح في احد جوانبه لا اذكر انني رأيت في ذلك وقد يحدث ان هذا النوح كان مخفياً في الذهب المحيط به ولكن قل يا جوهرى اكانت الزمردة كما هي الآن لما اشترتها من السارق — نعم كانت عارية كادم وحواء قبل ان اكلا من الثمرة المنهي عنها. فقال التاجر — يا لعمرة فقلبي يحدثني ان هذه ليست تلك وتكاد عيني تقنعني انها هي لولا ان في هذه طولاً يزيد عن طول تلك فقال اور يون

— أو يصدق ان هذين التوأمين وجدا في ساعة واحدة وفي بيت واحد فلم يبق اذاً الا ان هذه هي زمردة التطيف عينها وقد سرقتي انا ظفرتا بها بعد ضياعها وسأحرص عليها الآن فاضعها في خزانة الحديد ومتى قبضتم على السارق فادعني ايها القائد للنظر في امره . ثم حيا والديه وهاشما وخرج وهكذا اتضح براءة التاجر لكنه ظل مضطرب البال وكأن في قلبه ريباً لم يستطع محوه فلما اخدت الجماعة لتفرق نهض هو ايضاً وترك المجلس وعاد من حيث اتى

بحيرة طبرية وواقعة حطين

احسن ما فيه يسرح النظر	وادر بحث الأردن ينجر
غارث عليه التجود من شغف	فالنور ما بينهن منحصر
قامت على الجانبين تحفزه	كذلك الحسن شأنه الخضر
مبتدى الجري في الشمال لدى	شجر له الكبر بات والكبر
هاو الى الموت في الجنوب لدى	بحر ولا كالبحار منحصر
ومن يعم البياض لمتة	فهل سوى الموت بات ينتظر
يا شرق هونين كم لديك جرى	معين ماء حباؤه دُرر
الشرط تل القاضي يسله	والشرط من باناس ينحدر
والحاصبات بات إثرهما	يشد في الجري ليس يصطبر
علا منها الاردن بركته	ويزدهي مرج حولة الخضر
حيث وشج البراع مثبك	كأنما الخط ثم والنسر
حيث نمو النبات معجزة	كأنما سوق قمح الشجر